القسم الثالث

رسالة الأزهر ومسئوليته

- الأزهر وحوار آن أوانه .

obeikandl.com

الأزهر وحوار آن أوانه

فى عام ١٩٨٣ احتفلت مصر بالعيد الألفى للأزهر وشاركتها البلاد الإسلامية .. وكان إجماع المشاركين فى هذا الاحتفال أن مصر اكتسبت مكانة خاصة من وجود الأزهر فيها ، وأنها ظلت فى موقع الزعامة الدينية بفضل الأزهر وعلمائه .

وكل من يتحدث عن الأزهر يعترف بأنه هو حامى حمى الإسلام ، والمدافع عن القيم والمبادئ الإسلامية ، والمحافظ على لغة القرآن الكريم حتى فى العصور التى ساد فيها التخلف ، أو سيطر فيها الاستعمار على عالمنا العربى والإسلامى . ولا أحد ينسى كيف حاول السلطان سليم تخريب الأزهر بإبعاد علمائه والاستيلاء على كتبهم ومخطوطاتهم ، وكيف عمل اللورد كرومر طاغية الاستعمار البريطانى على القضاء على الأزهر بإبعاد خريجيه عن الوظائف العامة أو بضم الأزهر إلى وزارة المعارف ، ولم ينجح حكام مصر من أسرة محمد على فى هدم الأزهر بمحاربة رواد الإصلاح من رجاله ، حتى تخلف الأزهر وعاش فترة من الزمن يعانى من الجمود والتشدد وعدم القدرة على مسايرة الزمن .. وفى كل هذه المحاولات كان الهدف إبعاد الأزهر عن موقع القيادة والتأثير ، وتحويل أكبر قلعة للإسلام إلى قلعة للجمود والتخلف لكى يبقى الإسلام والمسلمون بعيدا عن دائرة التأثير وعن التقدم الحضارى .

ولاشك أن قانون تطوير الأزهر الذى صدر عام ١٩٦١ لم تكن له أهداف واضحة ، فقد قيل إن الهدف هو إنشاء أزهر جديد يجمع فيه الخريجون بين العلوم المدنية والعلوم الشرعية . فيكون رجل الدين طبيبا أو مهندسا أو عالم كيمياء فى نفس الوقت ، ولكن الذى حدث غير ذلك ، فقد بقيت الكليات

الأزهرية التقليدية : أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية ، وأضيفت كليات التجارة والعلوم والطب والهندسة والصيدلة وغيرها ، وحدث انفصال بين العالمين ، بحيث تأثرت الكليات الأزهرية التقليدية ، فانخفض مستوى التعليم فيها ومستوى خريجيها وأصبحنا نجد الآن من لا يحفظ القرآن منهم ، ومن يخطئ فى قواعد اللغة العربية ومن يجهل المراجع الأساسية الصحيحة ويسهل التأثير عليه والخلط بين المراجع المعتمدة والكتب القديمة قليلة الأهمية أو المشكوك فى جديتها وجدواها . وفى نفس الوقت فإن خريجى الكليات العملية لا يختلفون عن غيرهم من خريجى الكليات المماثلة ، وفى النهاية لم يتحقق الهدف الذى حدث من أجله الانقلاب الكبير فى هذا الصرح الإسلامى الذى لا نستطيع أن نعوضه اذا فرطنا فيه أو فقدناه لا قدر الله .

* * *

ولا نستطيع أن نقول مع بعض رجال الأزهر الساخطين على هذا التطوير إنه لم يبق من الأزهر الآن إلا الاسم مع كثرة المبانى والكليات ، ولكن نقول مع المنصفين من رجال الأزهر إن إلغاء شرط حفظ القرآن لجميع طلبة الأزهر والسماح بقبول الطلبة الذين رفضتهم مدارس التعليم العام لم يكن واردا فى قانون تطوير الأزهر ولكن مثل هذه القرارات اتخذها شيوخ الأزهر أنفسهم ، وكانت النتيجة – كما أعلنها عميد كلية الدعوة الإسلامية السابق الدكتور عبد الغفار عزيز بنفسه تخريج ائمة ووعاظ يملأون كثيرا من المساجد يستفتيهم الناس ويفتونهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .. وهذه هى كلمات عميد الكلية التى تخرج هؤلاء الدعاة .. ! وأضاف إليها فى مقال كتبه فى الأهرام فى ٨٢/٣/١٥ أنه بسبب الكثيرين من هؤلاء الخريجين انحرف ألوف الشباب وضلوا الطريق الدينى الصحيح ، وبسبب الكثيرين منهم أيضا تجرأ كثير من شبابنا فنعتوا شيوخ الأزهر بما لا يليق ، ولا نغفل

سببا آخر يرجع إلى عصر مضى كان فيه بعض المسئولين يجاهرون بإهانة الأزهر وعلمائه ، كما كان إلغاء هيئة كبار العلماء ، وما صاحب ذلك من تشويه لصورة قضاة المحاكم الشرعية وهم أصلا من علماء الأزهر .

ويضيف عميد كلية الدعوة السابق أن البعض يسمي ما جرى بأنه كان مذبحة للأزهر وعلمائه ، والحقيقة أن ما جرى أثر في الأزهر ولكنه لم يهدم هذا الصرح الشامخ ومازال الأزهر يحظى بالاحترام في العالم الإسلامي كله ، بعد أن أثبتت الأيام على مدى أكثر من ألف عام أن الأزهر هو حصن الإسلام والمسلمين ، وأن علماءه هم درع الإسلام ، وأن الوقت قد حان لوضع تصور لرسالة الأزهر ودوره وكيفية إعادته إلى سابق عهده يشارك في حماية الإسلام من الهجمة التي يتعرض لها ، ويبين صورة الإسلام النقية على حقيقتها في مواجهة حملات التشويه الدءوبة في كل دول الغرب .

وأعتقد أن التصور الجديد لدور الأزهر ورسالته لابد أن يضع في اعتباره أن جامعة الأزهر الآن أصبحت أكبر جامعة في العالم من حيث عدد الكليات وعدد الطلبة ، وأصبح من الصعب إدارة كل هذه الكليات التي تزيد على مائة كلية متفرقة في كل أنحاء مصر ، واستحالة متابعة العمل فيها وتوفير احتياجاتها .. لقد أصبحت جامعة الأزهر كمدينة تحولت إلى دولة ، ومازالت تعامل على أنها مدينة .. ! ومن جانب آخر يجب أن نعترف بأن كليات الأزهر التقليدية المتخصصة في العلوم الشرعية تخلفت وأوشكت أن تضيع في هذا الزحام ، مع أن الكليات العملية لها نظائر في كل الجامعات ، وليس للكليات الشرعية نظير أو بديل وهي التي تحتاج إلى تحسين نوعية خريجيها لمواجهة الاحتياج المتزايد للدعاة الأكفاء لمصر ولكل الدول الإسلامية .

* * *

وفى تصورى أن لهذه المعادلة الصعبة حلا ، والحل هو أن نعترف بما هو قائم الآن فعلا ونعطيه الصيغة المناسبة وما هو حادث الآن هو أن جامعة الأزهر لم تعد جامعة واحدة بل هى بالفعل عدة جامعات إسلامية تعيش فى كنف الأزهر وتحت مظلته . ولماذا لا نعترف بالحقيقة ونرحب بها مادامت هى الأقرب إلى تحقيق أهدافنا ؟ . والحقيقة هى أن لدينا الآن نواة لجامعة أزهرية تقليدية تضم كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية وهى كليات كثيرة منتشرة فى القاهرة والمحافظات ، ونواة ثانية لجامعة إسلامية تضم كليات الطب والزراعة والهندسة والتجارة وغيرها ، ونواة ثالثة لجامعة إسلامية للفتيات .. وهكذا ..

إذن فلقد كبر الأزهر بفضل الله واتسعت آفاقه ، ولم ننتبه بعد إلى حقيقة هذا التطور الكبير الذى حدث . لقد أصبح الأزهر قلعة مترامية الأطراف ، ولم يعد جامعة واحدة بل عدة جامعات نتصور ونحن نختنقها فى جامعة واحدة أننا نحميها وننشرفها بالانتماء إلى الأزهر وحمل اسمه .. أليس الأفضل أن يكون الأزهر – فى تصور جديد يستجيب للواقع – هرما كبيرا ،فى قمته شيخ الأزهر بمكانته الدينية الكبرى ، ويليه مجمع البحوث الإسلامية ، أكبر هيئة علمية إسلامية تحتاج منا إلى مساندة فتقوم بدورها فى دراسة القضايا الجديدة التى يطرحها التطور العلمى والاجتماعى والاقتصادى والتشريعى ومن الضرورى أن نناقشها فى ضوء أحكام الشريعة ، والمفروض أن يمثل هذا المجمع فى قمم التخطيط للتعليم والإعلام والتشريع وتكون له فى هذه الشئون الكلمة الأخيرة . ثم بعد ذلك تأتى جامعات الأزهر المتعددة ولكل جامعة مدير يتفرغ لها ويسهل عليه متابعة تجديد وتطوير واستكمال ما تحتاج إليه وبهذا التطور نحل المشكلة التى تطل برأسها علينا بين حين وحين ، هل نعود بالأزهر كما كان قبل قانون التطوير أو نمضى بتجربة التطور بما فيها من

وسلبيات إلى مداها ؟ بهذا الحل يمضى الأزهر إلى مستقبله محققا لنفسه وللمسلمين كل ما يطوف بالآمال .

ولكى نضع هذا التصور فى الإطار الصحيح لابد أن نضع فى اعتبارنا هذه الملاحظات :

أولا : أننا إذا حددنا دور الأزهر على أنه مجرد مدرسة لتعليم الإسلام وإعداد علمائه فإننا نضيِّق نطاق نشاطه ، وفى تصورى أن الأزهر أكبر من ذلك بكثير فهو صرح وقلعة للإسلام وإشعاعه لابد أن يمتد إلى كل ميدان .. من التعليم إلى الدعوة إلى تجديد موقف الإسلام من كل قضية جديدة يطرحها التطور إلى الوصول إلى غابات افريقيا وجزر آسيا حاملا كلمة الله وشريعته .

ثانيا : يترتب على هذا التصور أن يكون الأزهر هو دار الاجتهاد فى هذا العصر بعد أن اغلق باب الاجتهاد فى الفقه الإسلامى منذ قرون ولم يعد أمام المسلمين الآن إلا مذاهب اكتملت فى زمان غير زمانهم . ومع تطور الحياة أصبح مطروحا على الفقه الإسلامى أسئلة لم يفكر فيها أصحاب المذاهب الكبرى لأنها لم تكن قائمة فى زمانهم . وطبيعى أن يظل التطور وتظل الاسئلة الجديدة فى وقت لم نعد فيه قادرين على الاطمئنان إلى فقيه مجتهد تتوافر فيه شروط صاحب المذهب والاجتهاد .. ولنقل بصراحة إن عصر الاجتهاد الفردى انتهى منذ قرون ويبقى أمامنا أن نلجأ إلى الاجتهاد الجماعى لنعوض هذا النقص . وفى الأزهر مجمع للبحوث الإسلامية وهو جهة علمية متخصصة تضم أكبر رجال الفقه الإسلامى فى مصر والعالم الاسلامى وله مؤتمرات تدور فيها مناقشات حول الموضوعات الجديدة ، وطبيعى أن يطول الخلاف فيها ولكن من الضرورى أن تحسم حالة الخلاف وتنتهى إلى قرار من أهل الحل والعقد هؤلاء ، وهم يملكون أدوات القياس والاستنباط . وهذا القرار ليس قرارا من سلطة لكنه أقرب إلى أن يكون اتفاقا فى الرأى ومسموح

بالطبع بمسافة للخلاف بعده ولكنه الخلاف المحمود الذى أثرى الفقه الإسلامى بمذاهبه المتعددة وإلا كان الإسلام مذهبا واحدًا لكن أهمية الحسم هنا هى مساعدة المسلم العادى على الخروج من حالة الحيرة التى يعيشها الآن . ويكفى أن نتصور مدى عذاب الضمير الذى يعانيه إنسان متمسك بدينه وحريص على إرضاء ربه حين يستجيب لنداء أحد رجال الدين بأن فوائد البنوك حلال ثم يجد واحدا آخر لا يزيد ولا يقل عن الأول يؤكد له أنها حرام . هل يمكن أن نتركه نهبا للشعور بأن مطعمه حرام وملبسه حرام وأنه يغذى أولاده بالحرام وجهنم تنتظره فى النهاية ؟ ..أو نحسم له الأمر بقرار من مجمع البحوث الإسلامية يهتدى به فى سلوكه مطمئن الضمير اذا أراد أن يلتزم بالشريعة فى كل أمور حياته ؟ المشكلة أن مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية توقفت منذ سنوات ودور المجمع تضاءل إلى حد أننا لم نعد نشعر بوجوده ..

ثالثا : ويتصل بذلك أيضا أن نحدد موقفنا هل الإسلام عبادات فقط أو أنه عبادات ومعاملات ؟ فإذا قلنا إن الإسلام عبادات ومعاملات – وهو كذلك بالفعل – واذا قلنا إن الأزهر هو أعلى مؤسسة إسلامية – وهو كذلك بالفعل ؛ فإن هذا يستلزم بالضرورة أن يكون للأزهر كلمة واضحة ومحددة ومسموعة فى كل قضية من القضايا التى تشغل تفكير الناس سواء كانت قضايا أساسية أو فرعية . لأن المسألة تتعلق بتنظيم الحياة وفقا لشريعة الله . ولا نستطيع أن نقول إن هذه القضية أو تلك لا شأن للإسلام فيها . وقد أمرنا الله أن نجعل فئة منا تتفقه فى الدين وتتخصص فى استنباط الأحكام وفقا لضوابط محددة فى علم أصول الفقه .

رابعا : أن الفراغ فى مجال الدعوة والتعريف بحقائق الإسلام مع الفراغ فى مجال الفتوى هما المجال الطبيعى لنمو قيادات روحية من خارج الأزهر

أكثر تأثيرا فى الشباب من شيوخه وليس وجود قيادات دينية من خارج الأزهر هو المشكلة ولكن المشكلة هى أن هذه القيادات غير مؤهلة بحكم الثقافة والسن للقيام بهذا الدور . ولهذا تلجأ إلى الفكر الغريب الذى نشأ فى أحضان تيارات سياسية رافضة اكتست الثوب الدينى وملأت كتبا فى الفقه والتفسير والحديث . ولم يبذل الأزهر جهدا كافيا فى تنقية كتب التراث مما فى بعضها من أفكار متطرفة . ولم يقم بدوره فى التعريف بالمذاهب المنحرفة ، — وهى ليست قليلة — ليعرف الشباب الإسلام على حقيقته كما جاء به الكتاب والسنة .. وهذه أيضا قضية تحتاج إلى القرار والحسم .

إن الأزهر ليس كالفاتيكان وهذه قضية محسومة فى الفكر الإسلامى . لكن يجب أن يقوم الأزهر ويأخذ مكانه فى الصدارة ويعيد النظر فى قانونه ونظامه وأسلوب عمله ويملأ الفراغ الذى نشأ عن سباته وهو فراغ كبير لا يملؤه إلا الأزهر ..

خامسا : لا أحد يستطيع أن يقلل من دور الأزهر ومكانته فى العالم الإسلامى كله على امتداد القارات الخمس ، فقد كان — ولايزال — قلعة الإسلام وملاذ المسلمين ،ولهذا استقر فى وعينا أن الأزهر ليس لمصر وحدها ، بل هو للمسلمين جميعا . وهذا يعنى أن يفتح أبوابه أكثر لاستيعاب آلاف جديدة من الشباب المسلم من أفريقيا وآسيا بالذات الذى يعيش على حلم الانتماء إلى الأزهر .

واذا كانت الامكانات المحدودة والاعتمادات القليلة سببا أمام أى هيئة فلا يمكن أن نسمح بأن تكون عائقا نتيجته تقلص دور الأزهر وتأثيره . وأيضا لابد أن نلبى حاجات المسلمين بإيفاد علماء الأزهر وشيوخه إلى كل مكان . وإذا كانت حجة الخوف من تفريغ الكفايات والتخصصات تصلح فى أى مكان فلا يمكن أن تكون صالحة أو مقبولة بالنسبة للأزهرذلك لأن :

أولا : الأزهر قادر على بناء مدينة جديدة للبعوث الإسلامية تستوعب آلافا جديدة من أبناء الدول الإسلامية . قادر أيضا على تخريج مئات ومئات من الأساتذة والشيوخ والعلماء بدلا من أن ننظر إلى المستقبل بخوف كلما رأينا أعداد الجالسين على قمة العلم والفتيا يتناقصون .

ثانيا : أن الأزهر لا يمكن أن ينعزل عما يحدث داخل المجتمع المصرى .

فهناك فئة تعيش على قضية واحدة هى أن أجهزة الاعلام – وبخاصة التليفزيون – منفصلة عن القيم الإسلامية . وكانت هناك بادرة طيبة منذ سنوات بتشكيل لجنة مشتركة من الأزهر والتليفزيون لمراجعة البرامج وتصحيح المسار ، لكن هذه اللجنة توقفت ، وكان يجب أن تستمر وأن يشعر الناس بعملها ليطمئنوا إلى أن الأزهر – الأمين على الدعوة الإسلامية – يمارس عمله كاملا ويقوم بدوره بشكل مؤثر وفعال ودون عقبات .

ثالثا : أن الكلام الكثير الذى قيل عن قضية الشباب تبلور فى النهاية فى نقاط محددة يعنينا منها أن الشباب حين لا يجد من يقدم له المفاهيم الصحيحة المعتدلة يصبح نهبا للمفاهيم المتطرفة . وتقديم المفاهيم الصحيحة والدعوة إليها والاقناع بها مسئولية الأزهر أولا وأخيرا .

ولا يكفينا أن يعلن الأزهر أن القاعدة الواسعة من الشباب بخير ، أو أن يطلب من وعاظه أن يتحدثوا فى المساجد عن مدى خروج التطرف عن المعنى السليم للدين .

ولكننا نحتاج إلى خطة محددة مدروسة لتربية الشباب من خلال حوار واسع ومستمر فى المدرسة ،والنادى والاذاعة والتليفزيون تناسب كل مرحلة من مراحل العمر ، كما نحتاج إلى سلسلة كتب ميسرة تعلم الشباب مبادئ التفسير والحديث والفقه وأفكار الفرق الإسلامية وتاريخ الإسلام السياسى بما فيه من نشأة اتجاهات التطرف والعنف والهجرة والتكفير .. الخ . وهذا

جهد يحتاج إلى النفس الطويل ولا تكفى فيه كلمة هنا أو خطبة هناك . ومع كل هذا لابد أن يكون للأزهر وجود – وكلمة – فى كل موقع من المواقع المسئولة عن الشباب . لأن كل فراغ يتركه الأزهر يملؤه غيره من أصحاب الفكر غير الناضج أو من أصحاب الهوى .

رابعا : إن عنصرا من عناصر القلق داخل المجتمع المصرى الآن يرجع إلى أن هذا المجتمع يمر بمرحلة مد دينى واضحة ، تزداد فيها رقعة المتمسكين بدينهم والراغبين فى – التعامل وفقا لأحكامه – وهم يواجهون كل لحظة حيرة أمام أنواع من التعامل لم يحسم الأزهر رأيه فيها .. هل هى حلال أو حرام ؟ شهادات الاستثمار .فوائد البنوك وصناديق توفير البريد . التأمين على الحياة والممتلكات . البيع بالأجل أو بالتقسيط مقابل زيادة فى السعر . تحديد النسل ..

مثل هذه المسائل شديدة الارتباط بحياة الناس ،فكيف تترك لسنوات بعد سنوات وهى معلقة ؟ والناس فيها يتأرجحون بين الآراء والاجتهادات الفردية التى يعلنها أصحابها وهم مختلفون فيما بينهم أشد الاختلاف . كيف ندعو الناس إلى تحديد النسل ولم يحسم لنا الأزهر قضية الحلال والحرام فيها ؟ . . وكيف نشجعهم على الادخار والأزهر لم يحسم لهم هل الفوائد حلال أم حرام ؟ .. هذا التناقض بين الفعل والفكر .. ألا يدعو إلى القلق ؟ واستمرار هذا القلق داخل المجتمع ، أليس هو التربة الصالحة لكل من يريد أن يتولى القيادة الفكرية الدينية حتى ولو كان طالبا فى الجامعة أو مهندسا حديث التخرج ؟

لا أحد يطلب أن يصدر القرار فى هذه المسائل غدا . ولكن على الأقل لابد أن يدعو الأزهر إلى مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية تسبقه دراسات

عميقة فقهية واقتصادية واجتماعية وتعلن على الناس مناقشاته والرأى الذى ينتهى إليه .

خامسا : أن موضوع تقنين الشريعة الإسلامية مطلب عام ، وواجب دستورى ، وللحق فإن الأزهر يعمل على الوصول إليه بما يتفق مع أهميته وخطورته ، لكن ما فعله الأزهر وما يفعله ليس معروفا للناس .. فكم من الناس يعرف أن الأزهر شكل لجانا لإعداد الدراسات الفقهية والتشريعية التى تمثل الأساس الذى لا غنى عنه لعملية كبرى مثل تغيير النظام القانونى كله .. وكم منهم من يعرف أن هناك مشروعات قوانين أُوشكت دراساتها الأخيرة على الانتهاء .

والذين يتهمون الأزهر بالتقصير فى هذا المجال هم ضحايا الجهل بما يجرى فى ردهات الأزهر وقاعاته .. ومن حقهم أن يعلموا . ولعله من المفيد أيضا أن نفتح المجال أمام كل من يقدر على العطاء ليشارك فى هذا العمل الكبير .

القضايا المعلقة أمام الأزهر كثيرة .. وخطيرة .. لكن الأزهر – بتاريخه ورجاله – قادر على التصدى لها وهذا يفرض على رجاله مرحلة من العمل الشاق .. ولا نقول إن الأزهر يحتاج إلى استعادة شبابه – كما يقول البعض – لأن الأزهر لايزال شابا رغم مرور الألف عام ، وستبقى حيويته وخصوبته ما بقيت كلمة الله هى العليا .

* * *

ولقد جاءت زيارة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى باكستان والهند فى أكتوبر ١٩٩٦ فى وقتها المناسب وكانت نتائجها الإيجابية أكبر مما كان متوقعا .. كان المسلمون فى البلدين يتطلعون منذ سنوات إلى مثل هذه الزيارة

لكى تجدد فيهم الشعور بالارتباط الروحى بمصر ، وبالأزهر ، ولكى تجيب عن أسئلة جديدة تشغلهم ويلتمسون من الأزهر الشريف أن يقدم لهم الاجابات الصحيحة عنها ..

ولقد أتيح لى أن أتابع الزيارتين وأعايش المسلمين فى البلدين ، فرأيت كيف يحتل الأزهر الشريف مكانة سامية فى قلوبهم لا تصل إليها أية هيئة أو مؤسسة أخرى .. ويشارك فى هذا الشعور المسئولون الرسميون على أعلى مستوى ، والمواطنون العاديون فى الأسواق والقرى والمناطق النائية .

ونتيجة لهذه الزيارة فإن مصر يجب أن تعيد حساباتها لكى تزيد الاهتمام بالدائرة الإسلامية التى تحتل فيها موقع الصدارة والتأثير ، وتقدم إلى المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الدعم الروحى والعلمى الذى يحتاجون إليه .. فالأزهر الشريف ليس مؤسسة دينية مصرية لخدمة المصريين وحدهم .. ولكنه – فى حجمه الحقيقى – أكبر من ذلك .. ورسالته تتسع لتشمل العالم كله .. وهو مسئول عن رعاية المسلمين فى كل مكان .. أغلبية وأقلية .. ورعاية أبنائهم .. وتقديم التوجيه والمعرفة بانتظام واستمرار .. ليكون مع المسلمين فى كل أحوالهم .

وهناك تطورات فى العالم الإسلامى تقتضى استدعاء الأزهر ليكون حاضرا فى كل مكان يعيش فيه المسلمون .

أولا : هناك تطورات مادية وحضارية ومعطيات جديدة لم يعرفها المسلمون من قبل ، ولم تطرح فى ساحة الفكر أو الفقه الإسلامى ، واختلف حولها المسلمون بين موقف الرفض حتى ظهر الإسلام – بالقياس إليهم – كأنه ضد الحضارة والتطور ورافض لتقدم البشرية وعاجز عن ملاحقة التقدم العلمى والتكنولوجى .. خاصة مع ظهور جماعات تدعو إلى استنكار الحضارة الحديثة والانسحاب من الحياة المعاصرة والهجرة إلى الكهوف وإلى

التاريخ .. وإدارة الظهر للحاضر والمستقبل . ولابد أن يعمل الأزهر بقوة كى يعدَّ المسلمين للحياة فى عصر تتلاحق فيه التطورات ، ويدفعهم إلى المشاركة فى قيادة هذا العالم ، والنهوض من حالة الاستسلام والرفض إلى حالة العمل والمشاركة وقبول التحديات كما كان أسلافهم فى عصور الازدهار .

ثانيا : وهناك غزو منظم يجتاح الإسلام – كعقيدة وشريعة – كما يجتاح المسلمين ، يشوه حقائق الإسلام ، ويفسد عقول المسلمين ، ويسد عليهم منافذ الحياة بأن يجعل كل شيء حراما ، ويفسد حياتهم بأن يجعل كل واحد منهم يسارع باتهام الآخر بالكفر ، هذه الغزوة ليست فى مصر وحدها ، ولكنها فى كل العالم الإسلامى ، وقد لمسناها فى باكستان والهند ، والشكوى منها مريرة ، والعواقب وخيمة ، وإذا لم يتقدم الأزهر لقيادة العالم الإسلامى فى معركة ضد التطرف والإرهاب ، ونشر مفاهيم ومبادئ الإسلام الصحيح ، فمن الذى يستطيع أن يقوم بهذا الدور لإنقاذ الإسلام والمسلمين ؟ ..

ثالثا : وهناك خطر اجتماعى يهدد مجتمعات المسلمين فى كل مكان ، يتمثل فى أفكار مدسوسة تقلل من شأن المرأة ، وتحرمها من المساواة فى الحقوق والواجبات الاجتماعية والقانونية والشرعية ، وتجعل كثيرين من قادة هذا التيار الذى يستشرى خطره لا يرون وسيلة للتقرب إلى الله إلا بالضغط على المرأة وحرمانها من أبسط حقوق الانسان . حتى حق التعليم .. والعمل .. واختيار الزوج .. ولذلك كان جهد الإمام الأكبر كبيرا فى توضيح حقيقة مكانة المرأة فى الإسلام وحقوقها التى تكفلها الشريعة .. خاصة بعد أن وصلت جماعة طالبان إلى العاصمة فى أفغانستان وكان أول ما فعلوه إغلاق مدارس البنات وحرمان المرأة من العمل وفرض ملابس غريبة للمرأة تجعلها تبدو كالعبيد فى مجتمعات القرون الوسطى ، مما جعل المفكرين ورجال

الاعلام فى العالم يتساءلون هل هذا هو الاسلام ؟ .. وهل سيكون هذا حال العالم إذا طبقت فيه الشريعة الإسلامية ؟ ولذلك كانت جولة الإمام الأكبر ضرورية لتوضيح مبادئ الاسلام : العدل ..الحرية ..المساواة .. الكرامة الانسانية .. الخ فى مواجهة هذه الردة الدينية التى تكاد تعصف بالعالم الإسلامى كله .

رابعا : وهناك قضية نشر اللغة العربية والتعليم الدينى الإسلامى ،وفقا لمناهج الأزهر ، باعتباره القدوة فى هذا المجال .. وكان مطلب المسئولين والقيادات فى باكستان والهند أن يضاعف الأزهر عدد مبعوثيه فى البلدين لكى يتسع دوره وتأثيره ويواجه الاحتياج الشديد له ، خاصة أن باكستان مهتمة فى هذه المرحلة بتعليم اللغة العربية ، وهناك مدارس وجامعات إسلامية ، كما أن المسئولين فيها ينظرون بالتقدير للخطوة التى أقدم عليها الأزهر بإنشاء معهد ابتدائى لتعليم اللغة العربية والدين مع بقية العلوم ، وفقا لمنهج المعاهد الأزهرية ، وهم يطلبون المزيد .. ومهما يقل عن الاعتمادات والميزانيات والامكانات فإن العائد من هذا العمل أكبر وأهم من كثير من الأنشطة الأخرى التى توجه إليها الاعتمادات .. ولذلك أعتقد أنه آن الأوان لتضع الدولة خطة شاملة لمضاعفة أعداد مبعوثى الأزهر إلى الدول الإسلامية ومضاعفة عدد المنح التى يقدمها الأزهر لأبناء هذه البدول للتعليم فى معاهده وجامعته .. ولو أن المسئولين كانوا معنا فى هذه الرحلة واستمعوا إلى أبناء الهند وباكستان الذين لا يعرفون العربية ، وهم يرتلون القرآن ترتيلا جميلا بلسان عربى سليم ، ويتشوقون إلى دراسة اللغة العربية ليتابعوا فهم هذه الآيات بلغتها الأصلية ، ولو أنهم استمعوا إلى رئيس وزراء باكستان والهند وهما يتحدثان عن الأزهر باحترام شديد يرفعه إلى أعلى درجة لأدركوا أن رسالة مصر ، ودورها لها شقان : شق سياسى وحضارى فى قيادتها للعالم العربى وتحمل مسئولية اقرار السلام فى المنطقة ، وشق آخر يتمثل فى القيادة الروحية

للعالم الإسلامى لا يمكن أن يقوم به إلا الأزهر الشريف ، برجاله الذين يمثلون الحراس الساهرين على سلامة العقيدة الإسلامية وحمايتها من كل عدوان أو انحراف ، ولولا الأزهر لما ظل الإسلام – كما هو الآن – نقيا سليما كما أراده الله تعالى ..

الأزهر هو خط الدفاع الأول عن الإسلام .. وشيوخه هم كتائب الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه – وهم كثيرون – وكشف ما يدسه أعداء الإسلام من أفكار ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .

خامسا : ثم هناك قضية استعادة قدرة الأزهر على توجيه الخطاب الدينى السليم بلغة يفهمها المسلمون فى كل أنحاء العالم .. والمسلمون فى العالم يتحدثون بلغات متعددة .. والمشكلة أننا نحتاج إلى أعداد كبيرة من رجال الدين الإسلامى لديهم التعمق والاستيعاب الكامل لكل أحكام العقيدة والشريعة الإسلامية ولديهم فى نفس الوقت القدرة على عرضها وشرحها والدخول فى حوارات مع المفكرين والجاهلين بلغات مختلفة .. ولقد أدركت فى هذه الرحلة أن الأزهر لابد أن يدخل اللغات الأجنبية كمادة إجبارية فى جميع سنوات الدراسة . لأننا قد نجد من يجيد اللغات الأجنبية ولكنه لن يستطيع التعبير عن الأحكام الفقهيه وترجمة المعانى الدقيقة فى القرآن والسنة .. لا يقدر على ذلك إلا أبناء الأزهر وحدهم ..

باختصار إن رحلتى مع فضيلة الإمام إلى باكستان والهند جعلتنى ألمس عن قرب إلى أى مدى نحتاج الآن إلى وقفة لتجديد الأزهر ودعمه وتأهيله للتوسع فى أداء رسالته العالمية .

وفى نهاية جولة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى فى المانيا أقيمت ندوة جمعت أكبر المستشرقين الألمان وأساتذة اللاهوت وممثلى الكنائس ، وكان موضوع الندوة « أوروبا والعالم الإسلامى » وكان واضحا

أن الهدف الأساسى منها هو طرح أوجه الخلاف والتخوف بين أوروبا والإسلام كما يراها الألمان ، ليعرفوا موقف الأزهر منها ، وردود فضيلة الإمام الأكبر عليها ، ربما لكى يحسبوا بعد ذلك حسابهم ، هل الحوار والتعاون بين أوروبا والإسلام أمر ممكن ، أم أن الصراع بينهما محتوم كما يعلن صمويل هنتجتون ، وفوكو ياما وغيرهما من مفكرى وفلاسفة الغرب ؟ .

وكانت القضية الأولى هى « الحوار » هل الإسلام يقبل الحوار مع من يختلف معه ، أم يعتبر « الآخرين » كافرين ويحرم التعامل معهم ؟ وهذه الفكرة شائعة فى الإعلام الغربى .. وهل الأزهر باعتباره أكبر مؤسسة إسلامية مستعد للاشتراك فى الحوار بين الأديان وبين الحضارات أو أنه سيعتبر ذلك أمرا محرما شرعا ؟ وفقا للفكرة السائدة فى الغرب من أن الأزهر مؤسسة جامدة ، وسلفية ، ورافضة للتطور ، ولمد اليد للآخرين .. وهل لدى الإسلام ما يقدمه فى هذا الحوار كدين .. وكحضارة وثقافة .. أم أنه مجرد عقيدة يدين بها مليار إنسان ولا تملك الحجة أو المنطق أو الفكر القادر على الصمود فى حلقة الحوار والمواجهة .. ؟

كانت هناك أسئلة كثيرة ، وأوراق عمل ، كلها تدور حول هذه التساؤلات وتضيف إليها بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ، ولكن موقف الإمام الأكبر من هذه القضية كان واضحا فى حديثه ويتلخص فيما يلى :

أولا : أن الأزهر باعتباره أقدم وأكبر مؤسسة إسلامية ، وتتبعه جامعة الأزهر ومراكز بحوث ، لديه حصيلة من الدراسات والأفكار يستطيع أن يقدمها ويطرح فيها الرؤية الإسلامية للعالم ، ولحقيقة الإيمان ولعلاقة المسلم بغيره من غير المسلمين ، سواء فى الدول الإسلامية حيث الأغلبية المسلمة والأقلية غير المسلمة ، أو فى دول العالم غير الإسلامية حيث المسلمون هم الأقلية .

ثانيا : أن الأزهر كمؤسسة رسالتها شرح حقيقة الإسلام للمسلمين ولغير المسلمين ، ليست مهمته تحويل غير المسلمين إلى مسلمين ، فهذا الهدف يمثل سذاجة فى الفكر لأن تحويل شخص أو ألف شخص عن دياناتهم لن يزيد المسلمين و الإسلام ولن ينقص الديانات الأخرى ، وكذلك فإن الضغط على إناس وإكراههم على اعتناق دين معين لا يؤدى إلى وجود مؤمنين صادقين ومخلصين لهذا الدين ، ولكنه يؤدى إلى وجود منافقين يعلنون الإسلام ويضمرون العداء له ، وفى هذا خطر على الإسلام والمسلمين .. ولذلك فإن الإيمان اذا لم يكن نابعا من القلب والضمير وعلى أساس الاختيار الحر والمعرفة الكاملة فلا قيمة له ولا يستحق السعى إليه .

ثالثا : أن الأزهر كمؤسسة إسلامية دورها الحفاظ على نقاء شريعة الإسلام والدفاع عنها فى مواجهة اعدائها والمسيئين إليها ، يدرك أن هؤلاء فريقان : فريق من الغربيين درسوا ، الإسلام . بعضهم درسه بهدف اختيار المداخل للهجوم عليه ، فهؤلاء لا فائدة من الحوار معهم ، لأنهم يريدون دائما أن يثبتوا لمن يستعملهم أنهم يؤدون واجبهم فى الاساءة إلى الإسلام أداء حسنا ، وفريق حسن النية درس الإسلام بعقلية غربية عن الجذور والتراث واللغة التى لا يمكن فهم الإسلام دون معرفتها معرفة جيدة ..هؤلاء يقعون فى أخطاء وأوهام ويفهمون بعض الأمور على غير حقيقتها .. وهؤلاء يفيد الحوار معهم ، ليس بقصد تحويلهم إلى مسلمين ، ولكن بقصد مساعدتهم على معرفة حقائق الإسلام كما هى دون خلط أو سوء فهم .

رابعا : أن الإسلام دين واضح .. ليست فيه أسرار يختص بها بعض الناس دون سائر الناس ، وليست فيه طلاسم يصعب فهمها ، وليست فيه أسرار أعطاها الله لبعض الصفوة وحرم الآخرين منها ، ولكن كل مخلص ، غير متحيز ، يستطيع أن يعرف كل شيء عن الإسلام . ومن ناحية أخرى

فإن التسامح فى الإسلام فى جوهر العقيدة والأمر الإلهى للمسلمين .. ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ .. ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ﴾ .. ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ .. ومن جانب آخر فإن جوهر الإسلام أن اختلاف العقائد لا يعنى وجود عازل يمنعهم من التعامل والتعاون ، فقد كان الرسول ﷺ يتعامل مع النصارى واليهود ، وكان يرتدى ملابس مستوردة من بلاد أديانها مختلفة ، وفى بداية الهجرة أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا فى حماية حاكم مسيحى ورأى أنهم سيجدون الأمان عنده أكثر مما يجدونه وهم فى وطنهم وبين أهليهم ، وتطبيق ذلك قائم الآن فى مصر .. مصر مجتمع فيه المسلم والمسيحى ..والمبدأ الذى يعيش به المصريون هو : الدين لله والوطن للجميع ، وهو مبدأ معبر عن موقف الإسلام ، والمصريون يعيشون معا فى بيوت متجاورة وهم شركاء فى أعمالهم التجارية وفى الأرض الزراعية وفى كل أمور حياتهم وليس فى ذلك حرج أو حساسية .. وإذا ظهرت قلة منحرفة متعصبة أو تسعى إلى إيذاء أصحاب الدين الآخر ، فهم مجرمون ، أو مرضى ، أو مصابون بالهوس الدينى ، وهم فى النهاية شذوذ عن القاعدة ، وبدلا من أن تركزوا على الشذوذ انظروا إلى القاعدة العريضة والملايين يتعايشون منذ ١٤٠٠ عام وحتى اليوم فى أخوة كاملة .

خامسا : إن الحوار لكى يحقق نجاحا لابد أن نحدد ما هو الهدف .. هل الهدف أن يقول أصحاب كل دين نحن أصحاب الدين الأفضل وأنتم أصحاب دين زائف أو نحن على حق وأنتم على باطل ؟ .. إن كان هذا هو الهدف فسيكون ذلك حكما بفشل الحوار منذ اللحظة الأولى .. وإن كان الهدف هو البحث عن القواسم المشتركة بين الأديان ، وما أكثرها ، فسيكون حوارا ناجحا ، لأن كل الأديان من عند الله ، والله واحد ، وليس هناك اله لكل دين ، ومادام الله واحدا ، فمن الممكن أن يلتقى البشر – وهم مخلوقاته –

على المبادئ المشتركة ويتركوا أوجه الخلاف ليكون الحكم فيها لله .. والله يحكم بيننا يوم القيامة فيما كنا فيه مختلفين .

سادسا : ليس معنى ذلك أن الأزهر يريد أن يتفادى أو يتهرب من مناقشة العقائد ، فالدراسة المقارنة للأديان لا بأس بها ، ولكن فقط نفضل أن يكون ذلك بين العلماء والمتخصصين وليس بين العامة الذين يحكّمون مشاعرهم ولا يحكّمون المنطق والمنهج العلمى .. ونحن مستعدون فى هذا المجال وقادرون على المضى فى مثل هذا الحوار بمثل ما تريدون .

سابعا : أن الغرب المسيحى بحضاراته ، يعترف بأنه بدأ النهضة بالعلوم التى نقلها عن المسلمين ، والآن نقول إن العالم الإسلامى يحتاج إلى أن يرد الغرب الدَّيْن الذى عليه ، ونأخذ منه العلوم الحديثة ، لأن العلم والحضارة ملك للبشرية وليست حكرا لجانب من البشر .. هذا بعض ما تحدث به الإمام الأكبر إلى المستشرقين وعلماء اللاهوت الألمان فى موضوع يطول فيه الحديث .

خاتمـــة
المصالحة بين الغرب والإسلام

obeikandl.com

المصالحة بين الغرب والإسلام

فى اعتقادى أن مؤتمر « الإسلام والغرب » الذى عقد فى القاهرة فى شهر يوليو ١٩٩٧ يمثل نقطة تحول فى العلاقات بين الإسلام والغرب ، ويوجه مسارها إلى طريق جديد من التعاون والحوار ، بدل الطريق الوحيد الذى أجمع مفكرو الغرب على حتمية السير فيه ، وهو طريق الصدام بالحرب الساخنة أو الباردة فى أحسن الأحوال . فهو فى حقيقته مؤتمر هدفه عقد مصالحة تاريخية بين الغرب والإسلام

ويدعونى إلى اعتبار هذا المؤتمر نقطة تحول لأسباب عديدة .

أولها : أن هذا المؤتمر شهد أكبر تجمع لقيادات الإسلام والمسيحية فى العالم .. فقد شاركت فيه وفود ٨٥ دولة إسلامية وغربية ، وشارك فيه الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وقداسة البابا شنودة ، ووفود من الفاتيكان والكنائس البروتستانتية فى مختلف دول العالم ، وتحدث فيه قداسة البابا شنودة عن سماحة الإسلام ، وبراءته من الإرهاب ، والعنف بكل صوره .

كما شارك فيه عدد كبير من أساتذة اللاهوت والمستشرقين والباحثين فى تاريخ العلاقات بين الغرب والإسلام .. من كل التيارات ، ومن كل القارات ، وجلسوا – لأول مرة – معًا لا لمجرد تبادل عبارات الود والتمنيات الطيبة ، ولكنهم تحدثوا بصراحة عن مخاوف متبادلة على الجانبين ، هناك ما يدعو إليها ويبررها ، وهناك من يغذيها ويزيد من حجمها ، وينفخ فى النار لتزداد تأججًا ، وليصل الصدام المتوقع إلى لحظة الانفجار فى أسرع وقت ، وبأكبر قدر من الخسائر والجروح ، حتى لا تكون هناك فرصة بعد ذلك لتصالح أو حتى لهدنة .. وقد استطاع هذا المؤتمر أن يكتشف أن نظرية صدام الحضارات

التى يروِّج لها كثير من مفكرى الغرب وأجهزة الإعلام هى مجرد افتراض ليس له سند إلا تصور أن الغرب يجب أن يعيش فى حالة استنفار دائم ، ولابد أن يبحث لنفسه عن عدو بأى شكل وبأى حال ، إذا كان العدو وهو الاتحاد السوفيتى قد انهار فلم يعد هناك « عالم » آخر يمكن أن يكون هو العدو إلا « العالم الإسلامى » على اعتبار أن الإسلام أيديولوجية متكاملة ، وأتباعه يقولون إنه « دين ودنيا » وإنه عقيدة للعبادة ، ونظرية فى السياسة وأصول الحكم ، كما أنهم يعتبرون الإسلام هو أكمل وأفضل وخاتم الأديان .

والسبب الثانى : لأهمية هذا المؤتمر هو أنه أنهى حالة الشك فى جدية المخاوف من نظرية صدام الحضارات وماذا وضع أمام الذين كانوا يستهينون بالفكر القادم من الغرب عن حتمية الصدام بين الإسلام والغرب ؟ ، وأن الخطر على الغرب فى المرحلة القادمة هو الإسلام ، وأصبحت الحقيقة أمامهم واضحة ، وظاهرة لا تحتمل الشك ، أو الإنكار .

* * *

بعد هذا المؤتمر أصبح من الممكن على سبيل المثال فهم الدراسة التى نشرتها صحيفة « الموند ديبلوماتيك » فى عدد ديسمبر ١٩٩٤ بقلم ماريانو أجوميه ، بعنوان : « عدو للغرب بديل عن الشيوعية » وتساءل فى مقدمتها : من هو الخصم الذى سيحل فى نظر الغرب مكان الشيوعية بعد أن ثبت إفلاسها أيديولوجيا وفشلها فى التطبيق ؟ وأجاب على الفور : إن علماء الجغرافيا السياسية ، ومخططى الاستراتيجية متفقون على أن الإسلام هو « العدو » الجديد ، مما جعل فريقًا من الباحثين والمثقفين يأخذون فى بلورة نظرية « الصراع بين الحضارات » من ناحية ، وجعل الخبراء العسكريين فى الغرب يعملون بهمة – من ناحية أخرى – فى إعداد نظرية جديدة للحرب تهدف إلى تصفية وتدمير هذا الخصم الغريب .

تقول دراسة الموند ديبلوماتيك : إن كل المخاطر والتهديدات والمخاوف التى ستؤرق العالم فى نهاية هذا القرن ستنبع من « ناحية الإسلام » . والشعور بالريبة من كل ما يمت للإسلام بصلة ليس بالشيء الجديد ، فإن الشعور قديم وعميق فى الغرب بأن الإسلام أخطر شبح يحوم حول الغرب مستهدفا تعكير صفوه . إلى حد أن بعض قادة الرأى فى الغرب أعلنوا أن المهاجرين المسلمين إلى أوربا هم مصدر القلق من تدنيس قيم ومبادئ المجتمع الغربى ، وإلى حد أن معهد « رويال انستتيوت للشئون الدولية بلندن » أعد تقريرًا قال فيه : « إن الإسلام – العدو القديم – تسلل إلى الغرب من الباب الخلفى بأفكاره الخطرة عن الجهاد ضد الكفرة ، والتعصب ، والعنف .. وإن المواجهة بين العالم الإسلامى والعالم المسيحى هى قائمة من قديم الزمان ، ولكن الأمر تطور أخيرًا إلى شعور عدائى أعمى ضد المسلمين ، بعد أن ساهمت الأزمة البترولية فى ١٩٧٣ فى تكوين تصور بأن العالم العربى يستطيع أن يتحكم اقتصاديًا فى مصير الدول المتقدمة ، وفى الثمانينات ساهمت عملية خطف الرهائن الغربيين فى إيران ولبنان فى وصم المنظمات الإسلامية بطابع وحشى ، ومعاد للغرب تحديدا . ومن ناحية أخرى ساعدت المساندة الشاملة من وسائل الإعلام الغربية لصالح إسرائيل فى تضليل الرأى العام فى الغرب حول مشروعية المطالب العربية وحقوق الفلسطينيين الذين تعمدت وسائل الإعلام الغربية تشويه صورتهم والحديث عنهم على أنهم إرهابيون . وبعد اكتشاف البرنامج النووى العراقى تأكدت الصورة الذهنية لدى المواطن الغربى بأن العرب يسعون إلى خيانة الغرب ! ويضاف إلى ذلك الاغتيالات التى ارتكبت ضد الأوربيين فى مصر والجزائر » .

كل هذا قالته « الموند ديبلوماتيك » وهى أكثر صحف العالم احترامًا .

وقالت أيضا : « إن التقرير الذى صدر مؤخرًا عن مجلس حلف شمال الأطلنطى تضمن حقيقة أن دول الأطلنطى تنظر إلى الإسلام على أنه « خطر »

يتهددها ، بسبب العداء للقيم الغربية ، والقناعة بأن المسلمين سوف يستخدمون العنف لضرب الرعايا والمصالح الغربية » .

وفى تقرير حلف شمال الأطلنطى أيضا أنه « لا يستبعد أن تنجح الجماعات الإسلامية فى زعزعة ثقة الرأى العام فى الديمقراطية ، ليس فى البلاد الإسلامية وحدها ، بل فى قلب المجتمعات الغربية نفسها .. ومن المحتمل أيضًا أن ينجح التيار الإسلامى المتطرف فى دفع أعداد ضخمة من المهاجرين واللاجئين المسلمين إلى دول غرب أوربا » .

كل هذا ذكرته .. « الموند دبلوماتيك » نقلاً عن تقرير حلف الأطلنطى ، وهذا الحلف ليس منظمة للبحث والفكر ، ولكنه منظمة للحرب والدفاع ، ومعنى ذلك أن الدراسة التى أعدها هى المقدمة الاستراتيجية لتحديد العدو ومبررات الهجوم عليه ، وبعد الاستراتيجية يأتى التفكير العسكرى ، ورسم الخطط الحربية ، وتوجيه القوات والأسلحة الظاهرة والخفية ، واختيار مواقع التمركز وتحديد أدوار المقاتلين .

ومعنى كل ذلك أن فكرة حتمية الصراع بين الغرب والإسلام قد انتقلت من مجال التفكير النظرى إلى مجال التفكير العسكرى ، ولابد أن نفهم جيدًا معنى أن تكون نظرية صمويل هنتجتون موضع دراسة – ليس فى الجامعات وحلقات البحث – ولكن فى وزارات الخارجية وقيادة حلف شمال الأطلنطى ، ووزارات الخارجية مهمتها تحديد سياسات الدول ، وحلف شمال الأطلنطى هو تحالف يضم جيوش الغرب وليست له مهمة غير المهام العسكرية . نظرية هنتجنتون إذن خرجت من مجال الفكر إلى مجال توجيه السياسات والخطط العسكرية .

* * *

من هذا يتضح أنه لابد أن ندرك أن نظرية الصراع بين الغرب والإسلام لم تعد نظرية أكاديمية ، ولكنها نظرية موضوعة الآن أمام المجلس البريطانى الأمريكى للمعلومات الأمنية ، وحلف شمال الأطلنطى ، ووزارات الدفاع والخارجية فى دول الغرب ، وهناك خطط مشتركة بين الحكومات الغربية ، وشركات إنتاج السلاح فى دول الغرب تعمل بكل قوتها ونفوذها على زيادة المخاوف من العالم الإسلامى لكى تضمن استمرار زيادة مبيعاتها وأرباحها ، والعلاقات فى الغرب بين رجال السياسة ، ورجال الاقتصاد ، ورجال الإعلام ، وشركات السلاح معروفة ، ولاتحتاج إلى شرح جديد .

كل ذلك يجعلنا نحذر وننذر من خطر ما يحدث فى الغرب .

وإن كان أكثر المفكرين والسياسيين فى العالم الإسلامى لا يأخذون كل ذلك مأخذ الجد ، كالعادة ، ولن يدركوا خطورته إلا بعد فوات الأوان .. كالعادة أيضا ..

وهذا مايدعونى إلى القول بأن مؤتمر الإسلام والغرب الذى عقد فى القاهرة هو أهم حدث سياسى واستراتيجى وليس فقط أهم لقاء ثقافى .

فقد لمس الجميع جدية تناول الغربيين لقضية الصراع الحتمى بين الغرب والإسلام . ولمسوا جدية الشعور السائد فى الغرب بأن الإسلام هو العدو .

وكان هذا المؤتمر فرصة لكى تعلن مصر موقفها على لسان الرئيس حسنى مبارك ، وفى نقاط محددة .

● قال الرئيس أمام المؤتمر : « إن قضية العلاقة بين الإسلام والغرب أصبحت أهم الموضوعات فى الأعوام الأخيرة بعد ظهور أصوات فى الغرب تعتبر الإسلام هو العدو للحضارة الغربية . وتوحى بوقوع صدام حضارى وشيك .

إننا يجب أن نبحث عن أرضية مشتركة للتعاون بدل الصدام .

إن هناك تعاونًا اقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا بين العالم الإسلامى والغرب ، ولكنه ليس كافيًا ، لأن تنسيق المصالح يجب أن يسبقه الفهم المتبادل ، ولذلك نحتاج إلى حلول على الصعيد الثقافى والحضارى والدينى ، ونحتاج إلى التخلص من الأحكام المسبقة والمفاهيم الخاطئة لدى الجانبين .

إن محاولات الغرب لفرض شكل واحد من أشكال الحضارة أو الثقافة على دول العالم المختلفة حتى لو افترضنا أن ذلك يمكن تحقيقه من الناحية العملية فإنه ليس فى صالح السلام العالمى . ويجب احترام خصوصيات كل شعب وعقيدته وثقافته وأسلوب حياته .

إن الإسلام يحترم خصوصيات الشعوب ، وهو قائم على أن الله خلق الناس مختلفين ، لا ليكون اختلافهم سببًا للتنازع ، بل ليكون سببًا للتعارف والتعاون » .

* * *

● وكانت إشارة الرئيس مبارك إلى « صحيفة المدينة » لها دلالة خاصة ولأنها الوثيقة التى أصدرها النبى ﷺ فى تأسيس مجتمع المدينة بعد الهجرة وهى وثيقة دستورية رائدة .. أقر الرسول فيها التعددية الدينية والاجتماعية والثقافية والعرقية ، وجعل هذه التعددية أساسًا للمجتمع الإسلامى الجديد فى المدينة ، لكل فرد نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات ، بصرف النظر عن ديانته أو جنسه أو لونه ، مادام ملتزمًا بأمن المجتمع واستقراره .

● والإشارة الثانية المهمة للرئيس مبارك هى قوله للمؤتمر : « إننا لا يجوز أن نقف أمام العوامل السلبية فى تاريخ العلاقات بين الغرب والإسلام ونتجاهل ما بين الحضارتين من نقاط التقاء عديدة .. يجب أن نفكر فى التعاون ، ونلفت النظر إلى المستقبل بدل البقاء فى ظلام الماضى وأحداثه » .

● وكانت أقوى نقطة فى حديث الرئيس مبارك للمؤتمر « إن الحوار بين الغرب والإسلام لن يكون له معنى ، ولن يستمر ، إلا إذا توقفت النظرة السلبية للإسلام فى الغرب » ، وقال الرئيس كلمات كان يقصدها : « ليس هناك شك فى أن الإسلام قد أسيء فهمه فى الغرب بدرجة كبيرة ، تثير انزعاج المنصفين من أبناء الغرب أنفسهم ، وقد عبر عن هذا الانزعاج عالم الأديان الألمانى المعروف هانزكونج بقوله : « إن ما يمكن أن يسمعه المرء أو يقرأه عن الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية ، وما يقوله المثقفون عنه أمر مزعج ومخيف ، إنه مزعج بمعنى مزدوج .

أولاً : بسبب الاعوجاج والأحكام المغلوطة التى تتكشف فى هذه العقول .

وثانيًا : بسبب الطريقة المخيفة والخبيثة التى تلقى بها الأحكام عن الإسلام »

● وكانت عبارات الرئيس مبارك الأخيرة موجهة إلى قادة الدول ، ومراكز البحث والتخطيط فى الغرب ملخصها : إذا فهم الغرب الإسلام على حقيقته فهمًا موضوعيًا ، كما توضحه مصادره الأصلية وتعاليمه المقررة ، وليس من خلال تصرفات طائشة تصدر من بعض أبناء المسلمين هنا وهناك ، فإن هذا الفهم الموضوعى سيكون له أثره الإيجابى فى إزالة الكثير من أسباب سوء الفهم التى ترسخت على مدى قرون عديدة ، وبذلك يكون السبيل ممهدًا لإقامة التعاون على أسس سليمة ، دون توجس ، أو سوء فهم من جانب إزاء الجانب الآخر .

ولم يكن الرئيس مبارك فى كلماته الأخيرة للمؤتمر فى موقف رئيس الدولة فقط ، ولكنه كان فى موقف المسلم الذى يدافع عن دينه ، ويتحدث من موقع الالتزام به حين قال : « إن الإسلام يعترف بالديانات السابقة ،

وبأنبياء الله جميعًا .. وإننا لا نريد إلقاء المسئولية على جانب دون الآخر ، ولكننا نريد أن نخرج من هذه الدوامة إلى آفاق المستقبل » .

* * *

وخلاصة البحث عن أصول وجذور المخاوف المتبادلة بين العالمين : الغربى والإسلامى . هى أن الصراع الذى يتحدثون عنه ليس حتميًا ، ويمكن تفاديه . ولكن تفادى الصراع له شروط .

أولاً : أن يفهم الغرب حقيقة الإسلام ، ولا يخلط بين الإرهاب والإسلام ، فالإرهاب سلوك جماعات منحرفة يرجع انحرافها وعدوانها لأسباب متعددة ، ليس من بينها الدين ؛ لأنه ليس هناك دين أرسله الله يحرض أتباعه على قتل واغتيال وسرقة الآخرين ، وبث الخوف فى نفوسهم ، وتهديدهم فى أرواحهم وأموالهم .. وأى دين يدعو إلى ذلك ليس دينا .. وليس من الله .. فهذه عقيدة الشيطان وليست عقيدة الله . الشيطان يدعو إلى الكراهية والعنف واغتيال الأرواح والحقوق ، ويأمر أتباعه بالشر ، والله يأمر بالحب والتسامح ونشر نعمة الأمان .. جماعات الإرهاب إذن ليست هى المعبرة عن روح الإسلام ولكنها خارجة على الإسلام .. وليس عجبًا فى ذلك .. فى الغرب جماعات إرهاب مماثلة تدعى أنها الممثلة للمسيحية أو اليهودية والمدافعة عنهما والمطالبة بإقامة شريعتهما ، وهى فى الحقيقة حرب عليهما .. فنحن جميعًا فى الهم سواء .. شرق وغرب .

ثانيًا : إن الحوار بين الإسلام والغرب يستلزم فى البداية مناخًا جديدًا ، تخلو فيه الساحة الإعلامية فى الجانبين من الاتهامات التى لا تقوم على أساس صحيح ، والتى تحركها دوافع مريضة ، أوخبيثة ، أو جهات من صالحها استمرار التوتر والعداء والكراهية على الجانبين ، ولابد أن تحدد هذه الجهات

بصراحة ، ونقول : من الذى يستفيد من تخريب العالم الإسلامى ؟ من المستفيد من تشويه الإسلام ؟ . من المستفيد من إساءة العلاقة بين العالم الإسلامى ودول الغرب ؟

ثالثًا : إن هذا الحوار اللازم بين الغرب والإسلام يجب أن يحدد أهدافه منذ البداية . ليس الهدف التراشق بين أصحاب الديانات المختلفة . أو إظهار محاسن دين ومساوئ دين آخر .. أو محاولة الإقناع بأن هناك دينا أفضل من دين .. فهذه محاولات عقيمة تثير المشاعر ولا تصل إلى الإقناع .

ويجب أن نذكر واقعة يتناقلها الرواة من بدايات التاريخ الإسلامى لها دلالتها ، فقد حدث فى الفترة الأولى من حكم الرسول فى المدينة أن شاس ابن قيس ، – وهو شيخ يهودى شديد الطعن على المسلمين – سعى إلى الايقاع بين المسلمين أنفسهم ، فذهب إلى نفر من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه مارأى بينهم من ألفة ومودة فى ظل الإسلام ، بعد ماكان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فأرسل شابا من اليهود جلس بينهم وذكر لهم يوم « بعاث » وأنشد بعض ماكانوا يقولون من أشعار هذا اليوم . وكان هذا اليوم يوم قتال شديد بين الأوس والخزرج انتصر فيه الأوس ، واستطاع الشاب الدسيسة أن يثير مشاعر الجالسين ، حتى تصايحوا : السلاح .. السلاح .. وأوشكوا على القتال ، فبلغ رسول الله ﷺ ماحدث ، فخرج إليهم وقال :

– يا معشر المسلمين ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ أبعد إذ أكرمكم الله بالإسلام ، ترجعون إلى ماكنتم عليه كفارًا ؟

فعرف القوم أنها نزعة الشيطان ، وكيد عدوهم ، فألقوا السلاح ، وبكوا ، وتعانقوا ، ونزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ .

وإذن فهناك دائما من يسعى إلى إشعال النار فى صفوف المسلمين .. أو بينهم وبين غيرهم دون سبب للعداء .. والحذر واجب .

والإسلام لا يحمل كراهية أو عداء للمسيحية أو اليهودية ، بل إن القرآن لا يعتبر الإسلام اسمًا لدين خاص ، ولكنه الاسم الذى تشترك فيه كل الأديان .. قال نوح لقومه : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ ، وقال يعقوب يوصى بنيه : ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .. وقال أبناء يعقوب لأبيهم : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، إلها واحدًا ونحن له مسلمون ﴾ ، وقال موسى عليه السلام لقومه : ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : ﴿ قالوا آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ . بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : ﴿ قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ .

والإسلام هو الدين الذى يأمر أتباعه باتباع سائر الأنبياء : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

الإسلام يعلم أتباعه أن كل المؤمنين بالله أمة واحدة ويقول القرآن .. بعد أن يسرد مسيرة الأنبياء : ﴿ وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

وليس مسلمًا من لا يؤمن بكل الديانات وكل الكتب السماوية وكل الأنبياء .

﴿ قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ويعقوب ، والأسباط ، وما أوتى موسى ، وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ .

لا نفرق بين أحد منهم ..

المسلم لا يفرق بين نبى ونبى .. أو بين دين ودين .. والقرآن يعلم المسلمين أن الإنجيل جاء مصدقًا للتوراة ، وأن القرآن جاء مصدقًا للإنجيل ، وقد أخذ الله ميثاق كل نبى إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره .

فى الإسلام كل الشرائع السماوية صدق وعدل .. يصدق بعضها بعضًا .. ومادام مصدرها واحدًا .. ورسالتها واحدة .. وهدفها واحدًا .. فكيف تختلف .. وكيف يتقاتل أتباعها ..

والاسلام يعلم أتباعه أن توحيد البشر على ديانة واحدة مستحيل :

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ﴾ .

﴿ ولو شاء ربك لآمن مَن فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ .

﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ .

والقاعدة الإسلامية هى :

﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ .

ولذلك ليست الدعوة فى الاسلام بالعنف ولا بالتخويف أو الإكراه :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .

والإسلام يعلم أتباعه أن يبادلوا السلم بالسلم ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ ولا يحاربوا من يسالمهم :

هذه هى حقيقة الإسلام

وكل من يخالف هذه المبادئ إنما يخالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، بنص القرآن الصريح الذى لا يحتمل التأويل .

رابعًا : إن الحوار بين الإسلام والغرب لا يمكن أن يبدأ فى وسائل الإعلام الجماهيرية ، ولكنه يجب أن يبدأ بين المتخصصين والعلماء أولاً ، بقصد البحث عن أرضية مشتركة ، وأساس للتفاهم والتعاون ، وبعد ذلك يمكن التوسع فى الحوار لشرح هذا الفكر الجديد للجماهير .

خامسًا : إن الحوار بين الأديان هو فى الأساس حوار بين مؤمنين بالله ، والمعركة الكبرى أمامهم ليست فى مَنْ منهم على صواب ومَنْ على خطأ ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه مختلفين ، ولكن يجب أن يكون هدفهم هو توحيد الصفوف فى معسكر المؤمنين بالله على اختلاف ديانتهم أمام معسكرين : الإلحاد والمادية . وهذا المعسكر الأخير يزداد عددًا .. فالفلسفة المادية تنتشر ، والإلحاد يكسب أنصارًا ، والتحلل الأخلاقى ، وتفكك الأسرة ، وانتشار الروح الفردية الأنانية ، والعدمية ، هى التحدى الحقيقى أمام المؤمنين بالله عمومًا . فالأولى أن يتوحد المؤمنون فى صف واحد أمام هذه الموجات الخطيرة على الديانات وعلى البشرية بدلاً من أن يحارب المؤمنون بعضهم بعضًا فيعطوا بذلك ذريعة إضافية تعزز منطق وموقف الملحدين .

سادسًا : هناك قضايا تحتاج إلى تعاون العالم الإسلامى والغربى معًا ، بدلا من توقع الصدام ، مثل انتشار جماعات العنف هنا وهناك بدعاوى مختلفة ، وتناقص الموارد العالمية خصوصًا المياه ، وتدمير البيئة نتيجة الإسراف فى التصنيع وسعى الغرب إلى إنقاذ البيئة فيه بتدمير البيئة فى الدول المتخلفة وهى الدول الإسلامية .

سابعًا : إن الغرب يجب أن يتفهم مايحدث فى العالم من تغيرات ولا يتخوف مما يلاحظه من أن الثقافة الإسلامية أصبحت قوة صاعدة ، ولا يجوز تجاهلها ، ويجب أيضا ألا يتخوف من الحضور الإسلامى فى

الغرب ، فالمسلمون المهاجرون لن يكونوا خطرًا فى أوربا إذا وجدوا فيها التسامح والحقوق المتساوية والاعتراف بحقوق الإنسان .

ثامنًا : إن الغرب يجب ألا ينظر إلى العالم الإسلامى على أنه مخزن للبترول وسوق لتصريف منتجاته ومجال لتحقيق رفاهيته ، وينكر على العالم الإسلامى حقه فى التقدم والتطلع إلى الوصول إلى مستوى حضارى متقدم علميًّا وتكنولوجيا وصناعيًّا ، بحيث لا يكون التقدم حكرا على الغرب وحده . فهذه النظرة الأنانية من الغرب هى المحرك الخفى لفكرة الصراع مع العالم الإسلامى .

تاسعًا : إن انحياز الغرب لإسرائيل فى موقفها الظالم على حساب الحقوق العربية هو العقبة على طريق الحوار والتعاون بين الغرب والعالم الإسلامى ، وهذا الانحياز الغربى يصعب على العقل العربى والإسلامى أن يقبله ، ويصعب على الوجدان العربى والإسلامى أن يغفره .

عاشرًا : إن مفهوم الغرب عن الإسلام يجب أن يتسم بالإنصاف ، وليس من الإنصاف أن يتعلم الطفل فى أوربا وأمريكا فى المدارس أن العرب والمسلمين ليسوا إلا مجموعات من البدو يحملون السيوف ويعتدون على الغير ويظلمون المرأة ، فكيف يكون الحوار وفى العقول الغربية هذه الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين .

* * *

وهكذا نصل إلى أن مؤتمر القاهرة وقد أعلن صراحة وجود المشكلة ، وتقدم نحو التشخيص والتحليل بصراحة أيضًا ، ووصل إلى ضرورة إقامة جسور للحوار والفهم والتفاهم بين الغرب والإسلام ، فإن القضية الآن فى أيدى المؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية هنا وهناك ، وواجب كل من

يتولى موقعًا من مواقع المسئولية أن يؤدى واجبه فيها ، بل واجب كل إنسان أن يسعى إلى أن يفهم الحقيقة ويبعد عن عقله بقايا عداءات ودعايات وأكاذيب وأحقاد الماضى . فالمستقبل هو الأولى بالرعاية .

ومستقبل الغرب والعالم الإسلامى معًا أن يسود السلام والتعاون . وأن تظهر نظرية جديدة تبشر بإمكان تكامل الحضارات وحوارها بدلاً من تلك النظرية الفاسدة عن صراع أو صدام الحضارات .

إن الغرب مدين بالاعتذار للإسلام عن سوء الفهم والإساءة المقصودة .

لابد أن يعلن الغرب إدانته لماكتبه بعض الغربيين مما لا يتفق مع حقائق التاريخ أو المنطق السليم .

لابد أن يطهر الغرب نفسه من أحقاد الماضى تجاه الإسلام بالذات ، مما جعل الأدبيات الغربية مليئة بالأكاذيب والافتراءات والسباب للدين الإسلامى وعقائده ، ولنبى الإسلام ، وللمسلمين فى كل العصور وفى كل أنحاء العالم ، وهذا الموقف الغريب لم يتخذه الغرب من أية ديانة أخرى ، مثل البوذية أو الكنفوشيوسيه ، بل إن الولايات المتحدة تسمح بعقائد غريبة ليس أغربها عبادة الشيطان ، ولا تجد بأسا من إقامة كنائس لعبادة الشيطان ، ولا تجد هذا الكم الهائل من الكتابات المعادية لها مثلما تجد فى عبادة الله فى دين الإسلام .

ولكى تصفو نفوس المسلمين ويدخلوا فى الحوار مع الغرب فإنهم يحتاجون إلى تحديد موقف الغرب الآن من مواقف سابقة كان لها أثرها فى نفوسهم والأمثال كثيرة ..

● مثل ما كتبه الدكتور هولباخ عام ١٧٧٦ فى كتابه « الأخلاق العالمية » ويقول فيه : « لقد ظهر محتال فى بلاد العرب ارتجل الأكاذيب باسم السماء واستطاع أن يفرضها على جزء من عشيرته ، وسرعان ما أصبحت هذه

الأكاذيب مقدسة وانتشرت بالسلاح فى آسيا وأفريقيا وأوربا ويسمحون للمتعصبين بأن يغزوا كل الأرض ويروووها بالدماء .. إن شريعة محمد أقيمت بالسلاح وهى شريعة تطيح بالعروش لتقيم الطغيان الإسلامى على أنقاضها » .

● وما كتبه المستشرق الفرنسى أرنست رينان فى كتابه « حياة يسوع » عام ١٨٦٣ : « إن الشرط الأساسى لكى تنتشر الحضارة الأوربية هو هدم السلطة الإلهية للإسلام ، وهذه هى الحرب الخالدة التى لن تتوقف إلا عندما يموت آخر أبناء إسماعيل من الفقر ، أو أن يتم دفعه رغمًا إلى أعماق الصحراء » .

الخطوة الأولى لبدء صفحة جديدة فى العلاقات بين الغرب والإسلام هى إعادة النظر فى الصفحات القديمة وإعلان الحقيقية بعد سنوات سادت فيها الأكاذيب .

وليس ذلك غريبا .. فلقد اعتذرت الكنيسة المسيحية عن إساءتها إلى اليهود ، وأصدر بابا الفاتيكان وثيقة تبرئة لليهود من دم المسيح ، وغير بذلك وقائع التاريخ والاحداث الثابتة فى الكتاب المقدس ذاته ، فهل سيكون صعبًا معاملة الإسلام بالمثل ؟

هذا ..

أولاً : لإعادة الثقة .

وثانيًا : لابد أن يتوقف الغرب عن الخلط المتعمد الذى يقوم به الباحثون والقائمون على الإعلام بين الإسلام والإرهاب .. ولابد من الاعتراف بأن الإرهاب ظاهرة إجرامية لها أسباب اجتماعية بالدرجة الأولى ، وهى موجودة فى كل المجتمعات فى الغرب والشرق ، وفى كل الأديان ، وعند الإحصاء سنجد أن عدد المنظمات الإرهابية التى تتمسح فى المسيحية واليهودية فى أنحاء العالم أضعاف أضعاف المنظمات الإرهابية التى تتمسح فى الإسلام ..

وليس هناك ما يدعو الغرب إلى الإصرار على الادعاء بأن الإرهاب نابع من طبيعة الدين الإسلامى ذاته وجزء من جوهره ، فهذا ادعاء لا يستقيم مع الواقع ولا مع العقل .

وثالثًا : يجب أن يفهم الغرب جيدًا الرسائل العديدة التى تصل إليه من العالم الإسلامى ، وتحمل رغبة فى الحوار والتفاهم وإغلاق ملف العداء والكراهية وسوء الفهم والعداء القديم .. وليس أول هذه الرسائل ولا آخرها البيان الذى أصدره مؤتمر العالم الإسلامى فى عام ١٩٧٥ ، وأعلن فيه أن علاقات المشاركة بين الإسلام والمسيحية أمر طبيعى يعبر عن مشيئة الله ، ولصالح السلام فى العالم ومستقبل البشرية .

وعلى الجانب الآخر هناك إشارات مهمة صدرت فى الغرب لابد أن تقابل بالاهتمام والجدية من العالم الإسلامى .. مثل بيان المجمع الفاتيكانى الثانى ، وهو أعلى مرجع فى نطاق الكنيسة الكاثوليكية وفيه أن « تدبير الخلاص يشمل أيضا الذين يؤمنون بالخالق ، وأولهم المسلمون ، الذين يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم ، ويعبدون معنا الله الواحد »

ومثل رسالة البابا بولس السادس عام ١٩٧٢ التى وجهها لأول مرة إلى الأمة الإسلامية وقال فيها : « ولماذا لانقوم بتوسيع اللقاء بين المسيحيين والمسلمين ، فإن الغرض منه أن نقدم أمام وعى الناس بطريقة أقوى شهادتنا للعدل والاحترام والمحبة .. وبما أننا مشتركون فى الإيمان بالله الواحد ، فعلينا أن ندعوه لكى يقربنا بعضنا إلى بعض كل يوم أكثر حتى نستطيع أن نعمل معًا ، كل بطريقته ، فى سبيل العدل ، والسلام فى العالم » .

هذه الإشارات لها دلالة لانخطئها ، ولكنها تحتاج إلى أن تنتقل من أعلى إلى أسفل ، من القيادة العليا إلى جموع الملايين فى الغرب ، إلى المسيحيين

العادين فى الشارع الذين تأثروا بالإعلام المغرض والدعايات السامة ضد الإسلام .

وسيكون مفيدًا أن يأخذ المثقفون والهيئات الدينية فى الغرب بجدية الاقتراح الذى قدمه الدكتور على مراد أستاذ الإسلاميات فى جامعة السوربون بباريس إلى المؤتمر المسيحى الإسلامى الثانى الذى عقد فى فيينا فى مايو ١٩٩٧ ، وجاء فيه : « إننا نؤيد عقد معاهدة صداقة بين المسيحيين والمسلمين على أساس الأهداف التالية :

« بالنظر إلى أعباء التاريخ المشترك ، نعلن رغبتنا وجهدنا فى وضع حد نهائى لاتهاماتنا المتبادلة ، وفى التغلب على أخطائنا ومظالمنا بالغفران والتصالح المتبادلين .

إننا لا ننكر لهذا التاريخ ، بل نقابله جاهدين فى استخلاص العبرة منه ، وتجاوز نقائصه ، إننا نريد أن نبحث معًا عن الطريق المؤدية إلى تسوية الخلافات بالوسائل السلمية ، وإلى تنحية أسبابها ، والحد من مظاهر التوتر المختلفة .

أما بالنسبة إلى الحاضر والمستقبل ، فإننا نريد أن نعمل معًا على أن نسهم إسهامًا مشتركًا فى بناء حاضر أكثر إنسانية ، ونعد للأجيال المقبلة عالمًا يستطيع فيه المسلمون والمسيحيون أن يقيموا علاقة شراكة ، ويعقدوا أواصر الصداقة فيما بينهم .

إن معاهدة الصداقة هذه نعيها كانفتاح عريض على الكل ، ودعوة موجهة إلى الجميع » .

هذا الاقتراح جدير بالنظر .. وسيكون تحولاً تاريخيًا إذا اجتمعت عليه المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة ، واليونسكو ، والهيئات الدينية الإسلامية والمسيحية مثل الأزهر والفاتيكان والمنظمات البرتستانتية ، ورابطة العالم

الإسلامى ، والمؤتمر الإسلامى ، وتؤيده برلمانات العالم الإسلامى والغربى ، والجامعات ..

لو حدث ذلك فسيكون تاريخًا جديدًا قد بدأ بالفعل بين الغرب والإسلام .

وبعد ذلك يأتى دور الإعلام ..

لابد أن يعكس الإعلام الغربى بصفة خاصة روح التسامح ..

يعكس للغرب فكرة أن وجـــود دين آخر لا يعنى أن هذا الدين ضلال وفساد لمجرد أنه يختلف عما فى الغرب .

ويعكس أن اختلاف الأديان يستلزم وجود خلافات عقائدية ، وقد استمرت هذه الخلافات قرونًا دون أن يستطيع دين أن يقضى على الديانات الأخرى ، فالاختلاف قائم .. ودائم .. ولابد أن نقبله ونتعايش معه .. ونتعاون مع المختلفين معنا فى الديانة بروح سمحة ..

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ .

(صدق الله العظيم)